Archive of SID

مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية و آدابها،
فصلية محكمة، العدد الـ٣٧، شتا ١٣٩٤ هـ. ش/
٢٠١٦ م؛ صص ٦٥-٨٨

الهجاء و بواعثه النفسية في شعر البوصيري

هادي رضوان*
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة كردستان

تاريخ استلام: ١٣٩٣/٠٨/٢٢ تاريخ قبول: ١٣٩٤/٠٥/٢٦

الملخّص

يمكن أن نقسم الهجاء في شعر البوصيري إلى: الهجاء الديني و الاجتماعي و الفردي. و نلاحظ في كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة بواعث نفسية مختلفة منها رغبته الشديدة في إفحام خصومه من اليهود والنصارى ومنها حرصه الشديد على الدفاع عن ديانة رسول مدحه في أكثر قصائده ومنها فقره و كثرة عياله من جانب ونحافته وقصر قامته من جانب آخر ممّا أدى إلى أن يضيق بالناس ذرعاً وأن يظهر سخطه وكرهه لهم.

إن البوصيري في هجائه الديني يخاطب معاندي الإسلام وخصوصاً اليهود والنصارى في عصره ويرد عليهم بالاستدلالات العقلية والإشارات التاريخية وهذا النوع من الهجاء عنده يتسم بالصراحة والرصانة. و أما الهجاء الاجتماعي والفردي عنده . و إن كانت جذورهما في الدوافع الشخصية . فهما يهدفان إلى الإصلاح الاجتماعي ويتسم شعره في هذا المجال بالسذاجة والسلامة وعدم التكلف وهو فيكثير من الأحيان مشوب بالفكاهة والسخرية.

و البوصيري في هجائه الاجتماعي يتعرض لبيان الفساد الشائع بين أرباب الحكم وموظفي الدولة في عصره وفي هجائه الفردي يصور المثالب الأخلاقية. إن التربية الدينية وحياة الشاعر الشخصية والمشاكل التي واجهها في المجتمع ، كل أثرت على هذه أسلوب الشاعر في هذا الغرض الشعري تاثيراً مباشراً. و الكاتب في هذا المقاليتّبع المنهج الوصفي . التحليلي ويتحدث عن أنواع الهجاء في شعر البوصيري ضمن تحليل النماذج الشعرية المناسبة.

الكلمات الرئيسة: الهجاء؛ البواعث النفسية؛ الهجو الديني؛ الهجو الاجتماعي؛ البوصيري.

١. المقدمة

يعرف البوصيري من خلال مدائحة النبوية؛ فالبردة والهمزية تعدان من أروع القصائد في مديح النبى -صلى الله عليه وآله وسلم- في الأدب العربي. فهما حظيتا بقبول حسن لا عند العرب فحسب بل في آداب سائر الشعوب أيضا، فاهتم بهما الأدباء من المسلمين بالشرح والترجمة والتضمين والتشطير. و قلد البوصيريَ شعراءبارزون فأتوا بمدائح رائعة على نهج قصائده؛ فهو

* الكاتب المسؤول hadirezwan@yahoo.com

www.SID.ir

Archive of SID

الإمام المتبع في هذا الفن لا بسبب هاتين القصيدتين فقط، و لكن قصائده الأخرى في المديح، على العموم تتحلى بسمات فنية بارزة في حسن الصياغة وقوة السبك وجزالة الألفاظ.

ولا نجد أثرا بارزاً لسائر الأغراض الشعرية في ديوان البوصيري سوى بعض المقطوعات فيها مداعبات وإلا الحديث عن الطبيعة ضمن إطار المدحوإلا الهجاء فهو كثير في شعر البوصيري. وبما أن العاطفة الدينية تغلب على شعره فمن الطبيعي أن يكون الهجو العقائدي والديني أكثر من غيره، فهو يهجو النصارى واليهود في قصيدة مستقلة. كما أنه يهجوهما ويهجو المشركين والمنافقين في إطار مدائحة النبوية وحتى في سائر قصائده. هذا من جانب، ومن جانب آخر يتناول البوصيري الآفات التي كانت منتشرة بين موظفي الدولة آنذاك كالخيانة والسرقة والارتشاء والخلافات الطائفية وغيرها. على أن البوصيري في بعض هذه الأهاجي الاجتماعية يصدر عن دافع شخصي ويتعرض لكل من خان الأمانة من رجال الدولة في أثناء قيامه بما كُلِّف به.

والكاتب في هذا المقال يلقي الضوء على النواحي المختلفة من الهجاء في شعر البوصيري ويبحث عن الدلائل التي حث الشاعر على هذا الغرض الشعري بما أنه يعد من أكبر الشعراء في مجال المديح النبوي؛ فيحاولأن يجيب عن الأسئلة التالية:

ما هي بواعث الهجاء النفسية عند البوصيري؟

ما هي أنواع الهجاء الناشئة عن تلك البواعث النفسية المختلفة في شعر البوصيري؟

ما هي الخصائص التي تميز هجاء البوصيري عن الهجاء في شعر الآخرين؟

ولا يفوتنا أنه توجد بحوث قيمة عالجت القضايا المختلفة في شعر البوصيري وحياته. أما بالنسبة إلى الهجاء في شعره فنجد بحوثا مختصرة متفرقة في طيات الكتب النقدية و التاريخية منها ما أتى في كتاب تاريخ الأدب العربي لعمر موسى باشا (١٩٩٩م) فإنه يتحدث عن جوانب من الهجاء العقائدي في شعر البوصيري، وما أتى في كتاب الفن ومذاهبه في الشعر العربي لشوقي ضيف (١٩٦٠م) من الهجاء الساخر والصور الكاريكاتيرية في شعره، وما أتى في كتاب الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان لخالد ابراهيم يوسف (٢٠٠٣م) من نماذج من الهجاء الديني و الحديث عن اليهود والنصارى، وما أتى في كتاب الأدب العربي في العصرين المملوكي والعثماني لقصي حسين (٢٠١١م) من إشارات مختصرة إلى هجائه. وتحدث نبيل خالد نجاح أبو

www.SID.ir

Archive of SID

علي في كتاب البوصيري الموجود في صفحته الشخصية (٢٠١٠م) عن نماذج مختلفة من شعر الهجاء في ديوان البوصيري ولكن لا يكاد يوجد بحث جامع لأطراف المسائل المتعلقة بهجاء البوصيري.

٢. الهجاء و بواعثه

١-٢. المعنى اللغوي و الإصلاحي

الهجاء ضد المدح وبابه «عدا». يقال: هجاهُ يهجوهُ، هجواً وهجاءً وتهجاءً، بمعنى: شتمه بالشعر. قال الليث: هو الوقيعة في الأشعار. والمرأة تهجو زوجها: أي تذُم صحبتَه؛ ولا يقال: هجيتُه (انظر: ابن منظور، ٢٠٠٠، ذيل مادة هجو؛ والفيروز آبادى، ٢٠١٠؛ و الرازي، ١٩٩٥: مادة هجا). فالوقيعة في الشعر أو الشتم بالشعر كما يبدو، من المعاني اللغوية للهجاء، كما أن منها التعداد؛ يقول الزمخشري: «هجُوَ: تعلم هجاء الحروف و تهجِيتُها و تهجيها، و هو يهجوها و يهجيها و يتهجاها: يعددها. و قيل لرجل من قيس: أتقرأ القرآن؟ فقال: والله ما أهجو منه حرفا» (الزمخشري، ٢٠٠٠م: ٦٩٦). ثم إن كلَّ ما أتى في بيان المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة يدور حول هذه المعاني. يقول محمد محمد حسين: «و نحن لا نستطيع أن نرجح معنى من هذه المعاني على أنه أصل للمادة، فقد يكون الهجاء بمعناه الأدبي مأخوذاً من الضفدع؛ فهو قبيح الشكل بشع الصوت؛ وقد يكون مأخوذاً من اشتداد الحرّ، ففيه معنى التنكيل و التعذيب؛ وقد يكون مأخوذاً من الأصل اليائي، فهو يكشف عن سيئات الهجو. ولعل الهجاء بمعنى تعديد حروف الكلمة» (حسين، ١٩٦٩: ١٨). و يقول بعض الباحثين: «وما أراه أن معاني المادة تدور حول الإقذاع والبشاعة والنكال وكشف العيوب والازدراء بحيث يشمل غيرها من المعاني الغريبة» (يوسف، ٢٠٠٣، ص ٤٧١) ويقول حازم: «و كان ما يتعلق من الذكر القبيح بالأشياء المنافرة لهوى النفس والأشياء المباعدة من رضاها كلاهما داخل تحت قسمة واحدة وهي الهجاء» (القرطاجني، ١٩٨٦: ٣٥٢). ويقول في محل آخر: «وطريق الهجاء أيضاً يقصد فيه ما يعلم أو يقدّر أن المهجو يجزع من ذكره ويتألم من سمعه مما له به علقة» (*المصدر نفسه*: ٣٥٢). فأحسن القرطاجني عند ما صرح بأن من شرط الهجاء أن يتألم المهجو مما يسمعه.

أما بالنسبة إلى الغرض والغاية، ففرق بعض الباحثين بين الهجو والتهكم؛ وهو «أن الهجاء صادر عن نفس واجدة غاضبة حاقدة والتهكم صادر عن نفس ساخرة ناقدة مبرأة من الحقدوالموجدة. فالغرض من الهجاء التجريح والتشهير والإنقاص والعدوان على حين أن الغرض من التهكم التهذيب

www.SID.ir

Archive of SID

والتقويم والإصلاح، ويكثر في الهجاء السبّ والإقذاع، لكن التهكم لا سب فيه ولا إقذاع» (الحوفي، ٢٠٠١: ١٧٧). فالتهكم عند بعضٍ، لون من السخرية يراد به نسبة عيب إلى شخص أو تفخيم عيب في شخص وسيلةً إلى تهذيبه وإصلاحه ليخاف ذلك العيب إن لم يكن فيه وليبرأ منه كلِّه أو بعضِه إن كان فيه، فهو إذاً نوعٌ من الزجر والردع شبيهٌ بالعقوبة (*المصدر نفسه*: ١٧٧؛ قزيحه، ١٩٩٨: ٢١٥).

على أن بعض الباحثين يعتقد أن الهجو في معناه الحقيقي ليس القذفَ والإفحاشَ والسبَّ، بل هو الحديث عن معايب الفردوالاجتماع ومقابلتها، فالهدف منه هو الإصلاح ورفع النقائص (كاسب، ١٣٦٦: ٣١). فعلى رأي هذا الباحث لا فرق بين التهكم و الهجو؛ بل التهكم نوع من الهجاء، أو قُل إنه الهجاء الحقيقي وهو يخدم المجتمع والشخص لسعيه في الإصلاح، فليس الغرض من الهجاء ـ عنده ـ التجريح والتشهير والإنقاص فقط؛ بل قد يكون الرغبة في إصلاح شؤون الحياة والناس. وهذا قريبٌ مما قاله قدامة و ابن رشيق في مقام البحث عن درجات الهجاءوعيوبه (قدامة، د.ت: ١٨٧؛ القيرواني، ١٩٨١، ج٢: ١٧٤).

٢-٢. بواعث الهجاء

الهجاء غرض مستقل من الأغراض الشعرية المتنوعة، فهو بناءٌ شعريٌ كما هو الحال في المديح والغزل والرثاء. وهو ليس هدماً كما زعمه العجاج؛ أتى في كتاب الشعر والشعراء أنه «قيل للعجاج إنك لا تحسن الهجاء؟ فقال إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نَظلِم وأحساباً تمنعنا من أن نُظلَم وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم؟ وليس هذا كما زعم العجاج ولا المثل الذي ضربه للهجاء والمديح بشكل؛ لأن المديح والهجاء بناءٌ» (ابن قتيبة، ١٩٦٨، ج١: ٩٤-٩٣).

وهذا الغرض يشمل أنواعاً مختلفةً بحسب الغاية التى تحث الشاعر على الهجاء وبحسب البيئة والثقافة اللتين يتربى الشاعر فيهما وبحسب مقدرة الشعراء أيضاً. فإن منهم من يتيسر له نوع من الهجاء دون آخرَ ،كما هو الحال في الأغراض الشعرية أيضاً. فمنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل ومنهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء مثلاً.

ويمكن أن نقسم الهجاء بالنسبة إلى البواعث المختلفة إلى الأنواع التالية:

أ) الهجاء الديني و العقائدي

و هذا النوع من الهجاء سار في أسلوبه على سبيل الجاهلية وشعرها. فاعتمد على الأنساب والقبيلة وحماية الجار والدفع إلى الثأر وذم الجبن والعورات والمثالب وأضاف إلى ذلك ما قام

www.SID.ir

Archive of SID

فيالدين الجديد من تعيير بالشرك ومخالفة الله وعبادة الأوثان والتهديد والوعيد بنار جهنم والعذاب فيها. فاستفاد من القرآن الكريم وأخذ من معانيه و آياته في هذا الباب (الدهان، ١٩٥٨: ٧٠).

و القرآن الكريم ألهم الشعراءَ في هذا النوع من الهجاء، فالقرآن قد هجا المشركين والمنافقين واليهود بأسلوبٍ جديد يعتمد تسفيه معتقداتهم ومناقشةَحججهم ثم إبطالها بعد كشف زيفها وتهافتها وفضح ما يسرونوما كانوا به يتآمرون (العاني، ١٩٩٦: ١١٦). والشاعر الذي يمثل هذا النوع من الهجاء في العصر الإسلامي هو حسان بن ثابت الأنصاري، فهو كان يُعمِل لسانه في الهجاء وفنون الشعر الأخرى، فراح يدافع عن الدين الجديد ويدفع عنه الخصوم والأعداء بلسان جاهلي ومعانٍ جاهلية، فقد نشأ عليها وأسنَّ، لذلك كان يعالج الفخر والحماسة فيعدد الأيام والانتصارات كما كان يفعل الجاهليون من زملائه ولكنه أضاف إليها صوراً إسلاميةً زين بها شعره (الدهان، ١٩٥٨: ٧١). والبوصيري يمثل الهجاء الديني في عصره، فهو يهجو اليهود والنصارى بطريقتين تختلفان في أسلوبهما، بالدليل العقلي وبالاعتماد على التاريخ كما سنشير إليه بالتفصيل.

ب) الهجاء الاجتماعي

و في هذا النوع من الهجاء يبحث الشاعر عن سوء الحالة الاقتصادية وقلة الدين وضعف الخليفة وذم البلدان وهجاء الدهر وسقوط المرأة وهجاء الممالك والحكومات. (*المصدر نفسه: ٧٧*) فهو نقد اجتماعي يهدف إلى الإصلاح في حياة الناس؛ فلا يعده عدد من الباحثين .كما سبقت الإشارة إليه . من الهجاء أصلاً. و يمكن أن ندرج في هذا النوع من الهجاء، الهجاء السياسي ، ويبدو أن شعراء العرب قد فهموا الهجاء السياسي على أنه حماسة وفخر وهجوم لم يعيّروا فيه أعدائهم ومذاهبهم ولم يقذعوا في ذلك إقذاعهم في الأعراض و الأنساب وبيان المثالب والمعايب ورسم الخلال الذميمة كالجبن والبخل والبشاعة. (*المصدر نفسه*: ٦٦).

ج) الهجاء الشخصي

و هو الذي يتعرض فيه الشاعر لشخص بعينه وهو المراد بأقوال كثيرٍ من الناقدين القدماء في مقام البحث عن الهجاء. يقول ابن رشيق: «و جميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجودَ وترك الفحش فيه أصوبَ إلا جريراً وسلك طريقة في الهجاء سواءً وعلي بن العباس ابن الرومي، فإنه كان يطيل و يفحش وأنا أرى أن التعريض أهجى من التصريح؛ لاتساع الظن في التعريض

www.SID.ir

Archive of SID

وشدة تعلق النفس به والبحث عن معرفته وطلب حقيقته» (القيرواني، ١٩٨١، ج ٢: ١٧٢). فمن الهجاء الشخصي الوقيعة في الأعراض والأنساب وكان من المبتدعين فيه بشارُ بن برد، فقد كان يقول: إني وجدت الهجاء المؤلم آخذَ بضبع الشاعر من المديح الرائع؛ فبالغ فيه وأسهب (الدهان، ١٩٥٨: ١٧).

و من الهجاء الشخصي ما يسمى بالهجاء الساخر، «فقد نشأ على يد طائفة من مجّان الهجّائين نوع من الهجاء القصير اللاذع الذي لا يتجاوز البيتين أو الثلاثة، وهو هجاء خفيف الروح، سهل الألفاظ ، يعتمد على الصورة الهزلية المضحكة ، كأن قصره أوكد لذيوعه وخطورته وثقل وقعه على المهجو. قيل للفرزدق: ما اختيارك للقصار؟ قال: لأني رأيتها أثبتَ في الصدور وفي المحافل أجولَ. وقيل للحطيئة: ما بال قصارك أكثرَ من طوالك؟ قال: لأنها في الآذان أولجُ وفي أفواه الناس أعلقُ» (حسين، ١٩٦٩: ١٢٦). ولعل من أهم الممثلين لهذا النوع من الهجاء، ابن الرومي؛ «فقد أعده مزاجه الحادُّ وقدرته البارعة في لمح الدقائق والعيوب الجسمانية لضرب من الهجاء ما يمكن أن نسميه الهجاءَ الساخرَ، إذ كان يعبث بمهجوّيه عبثاً لاذعاً يُشبه عبث أصحاب الصور الكاريكاتيرية، فهو يقف عند نواحي الضعف ويكبّرها ويظهرها في أوسع صورة حتى لَيثيرالضحك والإشفاق على من يتناوله منهم» (ضيف، ١٩٦٠: ٢١٣-٢١٢).

٣. البوصيري و شعره

(راجع لترجمته: الكتبي، ١٩٧٤، ج٣: ٣٦٢؛ الصفدي، ٢٠٠٠، ج٣: ٨٩؛ مقدمة الديوان، ١٩٩٥: ٥). هو أبو عبدالله، شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد، وهو مغربي الأصل، حيث يعود نسبه إلى قبيلة صنهاجة المغربية، ولد في دلاص في أول شوال سنة ٦٠٨ هجرية ونشأ في بوصير وتلقى علومه الأولى فيها، ثم ارتحل إلى القاهرة وفيها بدأ رحلته العلمية حيث درس العلوم الدينية والتاريخ الإسلامي وبعض العلوم العربية كالأدب والنحو والصرف والعروض، كذلك أخذ التصوف عن أبي العباس المرسي. ومما نلاحظه في ديوانه أنه مطّلع على كتب اليهود و النصارى وخصوصاً في معرض تعليقه على قصيدته اللامية التي سماها «المخرج والمردود على النصارى واليهود» (الديوان، ١٩٩٥: ١٤٦-١١٦). وهذه الثقافة استدعتها مواقف اليهود والنصارى من الإسلام وإنكارهم لنبوة محمد_ صلى الله عليه وآله وسلم_فرآى أن يرد عليهم بطريقة جدلية بقصد إقناعهم ببطلان ما ذهبوا إليه.

www.SID.ir

Archive of SID

و رغم فقر البوصيري وكثرة عياله، فإنه لم يقبل وظيفة لا يتقنها ولا يستطيع القيام بواجباتها؛ حيث عرض عليه أن يكون محتسب القاهرة إلا أنه اعتذر عن هذه الوظيفة. وسنشير إلى بعض هذا في مقام بحثنا عن هجاء الحسبة والمحتسبين. وعلى صعيد الوظائف الحكومية فإن البوصيري لم يستطع الحصول على أكثر من وظيفة كاتب ديوان بلبيس؛ ولكنه عاد إلى القاهرة أنشأ كُتّابا لتحفيظ القرآن. وهو عانى كغيره من شعراء عصره من انصراف الأمراء والميسورين عن الشعروبخلهم على الشعراء وهكذاكانت حياته حتى انتهت بموته سنة ٦٩٥للهجرة.

«و مما يروى عنه أنه كان قصيراً نحيفاً مما دعا بعض الناس أن يسخروا منهوهو إزاء ذلك كان يضيق بهم ذرعاً ويُظهر مقته وكرهه لمن يسخر منه أو ينتقد شعره فيهجوه أو يسخر منه. وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن البوصيري كان ممقوتاً بمقته الناس حتى زوجتُه. أما الناس فكرهوه لأنه كان سليط اللسان ملحاً في السؤال شأن الصوفية في ذلك الزمان. على أن بعض الباحثين يشير إلى أن الذين مقتوا البوصيري كانوا من المستهدفين بنقده من ذوي المناصب الحكومية، و لو كانوا من عامة الناس لما كان ضرورة لذكرهم في مجالس الأمراء؛ والوزراءُ لا يهتمون لسماع الأحاديث عن العامة من الناس. أما عامة الناس فقد أحبوه وتقربوا منه وكان متى مشى في الشوارع أسرع إليه الناس يقبّلون يدهحتى الصغار منهم وكانت تنبعث من جسده رائحةٌ طيبةٌ» (أبوعلي، موقع iugaza. edu. ps/nail/filas/2010).

أما شعره فالعاطفة الدينية بارزة فيه، خصوصاً في مدائحه النبوية ولاسيما البردة والهمزية فضلاًعن قصائده الأخرى؛ ونخص بالذكر قصيدة «المخرج والمردود» التي أشرنا إليها. وتمتاز تلك القصائد بقوة الأسلوب وحسن الصياغة وجمال الصورة كما تمتاز مدائحهُ بحسن اختياره للألفاظ مع تلاعبٍ واضحٍ على سبيل التورية في بعض الأحيان.

٤. بواعث الهجاء في شعر البوصيري

لا ينكر أثر جوانب حياة البوصيري المختلفة في شعره؛ فإنه_كما أشرنا سابقاً_ درس الإنجيل والتوراة كما درس تاريخ ظهور المسيحية وما ألفه النصارى واليهود من كتب في شرح الديانتينوالانتصار لهما. و قد مكنه ذلك من التصدي لمزاعم اليهود والنصارى وأباطيلهم؛ فكان هذا باعثاً قوياً على أن يهجو البوصيري خصومه هجواً دينياً. على أني أظن أنه لا يبعد أن يكون هذا الدرس والتصدي باعثاً على خلق مدائحه النبوية أيضاً و نحن نعلم أنه يهجو اليهود

www.SID.ir

Archive of SID

والنصارى حتى في مدائحه النبوية وأخص بالذكر أهاجيَه في الهمزية. و إذا التفتنا إلى حياته الشخصية، نلاحظ أنه عاش عيشة فقر وضنك، نراه و هو يعاني شظف العيش وقلة الرزق وعدم القدرة على تحمل تبعات أسرة كبيرة وامرأة ولودٍ . و هو يتحدث عن كل هذا في شعره . ومن جانب آخر فإنه لم يستطع الحصول على وظيفة مرموقة ولم يقبل وظيفة لا يتقنها. و لا يخفى علينا بعد الدرس و الفحص في ديوانه أنه كان يسأل ممدوحيه ولكن يبدو أنه يئس منهم، فلا عجبَ أن يكون هذا وما أشبهه باعثاً أو قُل من بواعث خلق الهجاء بأنواعه عنده.

و نحن في هذا المجال نشير إلى طرف من أهاجيه الموجودة في ديوانه المتأثرة بهذه البواعث المختلفة ولا ننسى أن البوصيري شاعر المديح النبوي، فأثرت هذه المدائح الرائعة الجميلة الصادقة الجارية على القلب قبل اللسان في أساليب الهجاء عنده.

١-٤. الهجاء الديني و العقائدي في شعره

و المراد من الهجاء الديني هذا الذي تصدى به البوصيري لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى. و لا نجد هذا الهجاء في «المخرج و المردود» فقط بل في سائر قصائده وحتى في مدائحه النبوية أيضاً.

و البوصيري في هجوه أهلَ الكتاب يقفأحياناً موقفاً أخلاقياً ويثلبهم بعدم مراعاة القيم الإنسانية؛ فشيمتهم الحسدُ والظلم وعدم مراعاة حق الأخوة؛ وفي هذا المجال يستدعي قصة هابيلوقابيل ويتحدث عن كيد أبناء يعقوب. يقول في همزيته:

لَو جَحَدنا جُحودَكُم لَا سَتَوْينا ... أَو لِلحَقِّ بِالضَّلالِ استِواءُ
ما لَكُم إِخوَةَ الكِتابِ أُناساً ... لَيسَ يُرعى لِلحقِّ مِنكُم إِخاءُ
يَحسُدُ الأَوَّلَ الآخِرَ وَمازا ... لَ كَذا المحَدَثونَ وَالقُدَماءُ
عَلِمتُم بِظُلمِ قابيل هابيل ... وَمَظلومُ الإِخوةِ الأَتقياءُ
وَ سَمِعتُم بِكَيدِ أَبناءِ يَعقُو ... بَ أَخاهُم وَكُلُّهُم صُلَحاءُ
حِينَ أَلقَوهُ في غَيابَةِ جُبٍّ ... وَرَمَوهُ بِالإِفكِ وَ هو بَراءُ

(البوصيري، ١٩٩٥: ٢٠)

والبوصيري يستهلم القرآن الكريم في وصف أهل الكتاب بالضلال ونرى أن هذا الوصف يتكرر في مواضع عديدة من ديوانه؛ يقول:

لَم نُقَلْ فيكَ مَقالَ النَّصارى ... إِذْ أَضَلّوا في المسيحِ الصَّوابا

(المصدر نفسه: ٣٤)

www.SID.ir

Archive of SID

و يقول:

ما بالُ مَنْ غَضِبَالإلهُ عَليهِم حادُوا عَنِ الحَقِّ المبينِ و نكّبوا
وَ أَخو الضَّلالةِ قالَ عيسى ربُّه وَ نَبيُّهُ فَأَخو الضَّلالِ مُذَبذَبُ

(*المصدر نفسه*: ٦٤)

أما قصيدة المخرج والمردود، فهي قصيدة طويلة يبدو أنها كانت كتاباً مستقلاً في الرد على اليهود والنصارى، وكان البوصيري يعلق نثراً على كلِّ ما يورده بالنسبة لعقائد اليهود والنصارى. و يتضح مما جاء في تعليقاته أن الشاعر قد درس كتب أهل الكتاب (باشا، ١٩٩٩: ١٨٠). وهذه القصيدة على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية وربما كانت العاملَ الكامن وراء معاداة النصارى واليهود له، حتى إنه لقي عداوة كثيرةً من الذين كان بيدهم الأمر والنهي (*المصدر نفسه*: ١٨١).

فالبوصيري في هذه القصيدة اتهم النصارى واليهود بالتحريف والتبديل بما أنزل الله عليهم وألح على هذا المعنى؛ فهم ضالون تائهون خالفوا المنقول والمعقول:

ضَلَّ النَّصارى وَ اليهودُ فَلا تَكُنْ بِهِم عَلى سُبُلِ الهُدى مَدلُولا
وَ المَدَّعوا التَثليثِ قومٌ سَفَّهُوا ما خالَفَ المنقولَ وَ المعقُولا

(البوصيري، ١٩٩٥: ١٢١)

و البوصيري يرى النصارى أقل العالمين عقولاً بما أنهم ادَّعوا أن الله حلَّ في المسيح، فماصدَّقوا الرسول بل أكثروا في القول بالإفك والبهتان:

جاءَ المسيحُ مِنَ الإلهِ رَسُولا فَأَبى أَقَلُّ العالَمينَ عُقولا
قَومٌ رَأَوا بَشَراً كَريماً فادَّعوا مِنْ جَهلِهِم لله فيهِ حُلولا
وَ عِصابَةٌ ما صَدَّقَتْهُ وَ أَكثَرتْ بِالإفكِ وَ البهتانِ فيهِ القيلا

(*المصدر نفسه*: ١١٦)

ثم يسخر البوصيري منهم، فكأنَّ عيسى لم يرسل إليهم إلا ليكذِّبوا التوراة والإنجيل:

فَكأَنَّما جاءَ المسيحُ إليهِم ليكذِّبوا التوراةَ وَ الإنجيلا

(*المصدر نفسه*: ١١٦)

و يسعى البوصيري في أن يفحم الخصم بالمحاجَّة العقلية الممزوجة بنوعٍ من التهكم والسخرية؛ فكيف يمكن أن يكون الإلهُ محتاجاً فيأكلَ ويشرب وينام ويحس بالألم! وإذا مات الإله . بزعمهم . فمَنِ الذي يتكفل أموره بعده!

أَسَمِعْتُم أنَّ الإلهَ لحاجةٍ يَتناولُ المشروبَ وَ المأكُولا

www.SID.ir

Archive of SID

وَ يَنامُ مِنْ تَعَبٍ وَ يدعُورَبُّهُ ... وَ يَروُمُ مِنْ حَرِّ الهَجيرِ مَقيلا
وَ يَمَسُّهُ الأَ لَمُ الَّذي لَم يَستَطِعْ ... صَرفاً لَهُ عَنهُ وَ لا تَحويلا
يا لَيتَشِعري حِينَ ماتَ بِزَعْمِهِمْ ... مَنْ كانَ بالتَّدبيرِ عَنهُ كَفيلا

(المصدر نفسه: ١١٩)

و يتحدث البوصيري في هذه القصيدة عن تحريف التوراة والإنجيل بالتفصيل كما أنه ينقل شواهد كثيرة من كتب أهل الكتاب. «فالبوصيري واحد من الشعراء المسلمين الذين خاضوا في الصراع الديني، فقد أسرف في مهاجمة النصارى واليهود واتهامهم بالإفك والبهتان وسفَّه معتقداتهم التي حرفوها وأنكر عليهم عدمَ اعترافهم بالنَّبي محمد . صلى الله عليه وآله وسلم . ورسالته و قد بشرت به التوراة والإنجيل إلى غير ذلك مما يتصل بأصول العقيدتين اليهودية والمسيحية منزّهاً موسى و عيسى . عليهما السلام . عمَّا يدعيه أتباعهما» (يوسف، ٢٠٠٣: ٤٨٢).

و للبوصيرى قصيدةٌ أخرى في مدح النبي_صلى الله عليه وآله وسلم_ سمَّاها (ذخر المعاد في وزن بانت سعاد) (البوصيري ، ١٩٩٥، ص ١٥١و ما بعدها)، يرمي الشاعر فيها النصارى واليهود و هم أهل الكتاب بالتنكر للإسلام والكفر والجهل والتجهيل والجحود والظلم، و هو في أسلوب ساخر يشبه النصارى بقابيل واليهودَ بالغراب الذي قلده قابيلُ في الدفن، فهم استفادوا في جحودهم اليهود، فإن ظلمونا بإنكار رسالة نبينا فاليهود ظلموهم من قبل و كأن الله قدر العدل في القصاص. فالنصارى عالمون بأنَّ محمداً رسولٌ أرسله اللهتعالى إلى الناس كافةً ولكنَّ الحسد صدَّهم، فهم لا يؤمنون به رغم أنهم يعرفونه معرفة الأبناء وهو الذي كانوا يستفتحون بهويستنصرون منه:

إِنْ أَنكرَتْهُ النَّصارى وَ اليَهودُ عَلى ... ما بَيَّنتْ مِنه توراةٌ و إِنجيلُ
فَقَد تَكَرَّر مِنهُم في جُحودِهِمُ ... لِلكُفرِ كَفْر وَ لِلتَّجْهيلِ تَجهيلُ
قُلْ لِلنَّصارى الأُلى ساءَتْ مَقالَتُهُم ... فَما لَها غيرُ مَحضِ الجَهلِ تَعليلُ
مِنَ اليهود استَفَدتُم ذا الجُحودَ كَما ... مِنَ الغُرابِ استفادَ الدَّفنَ قابيلُ
فَإِنَّ عِندَكُم تورَاتَهم صدقت ... وَ لَم تصدَّقْ لَكُم مِنهُم أَناجيلُ
ظَلَمتُمونا فَأَضْحَوا ظالمينَ لَكُم ... وَ ذاك مِثلُ قِصاصٍ فيه تَعديلُ
مِنكُم لَنا وَ لَكم مِنْ بَعضِكُم شُغُلٌ ... وَ النَّاسُ بِالنَّاسِ في الدُّنيا مَشاغيلُ
لَقَد عَلِمتم وَ لن يصدَّكُم حَسَدٌ ... أَنَّا بِما جاءَنا قَومٌ مَقابيلُ
أَما عَرَفتم نبيَّ اللهِ مَعرفَةَ الـ ... أَبناءِ لكنَّكم قَومٌ مَناكيلُ
هذا الَّذي كُنتُم تَستفتِحونَ بِهِ ... لَولا اهتَدى منكُم لِلرُّشدِ ضِلّيلُ
فَلا ترجُوا جَزيلَ الأَجرِ مِنْ عَملٍ ... إِنَّ الرَّجاءَ مِنَ الكُفّارِ مَخذولُ

(البوصيري، ١٩٩٥: ١٥٦)

www.SID.ir

Archive of SID

و لا يخفى ما اقتبسه البوصيري من القرآن الكريم في هذه الأبيات في مقام هجائه الديني، فإنه أشار إلى ما جاء في القرآن من أن الإنجيل مصدق لما بين يديه: (وقفَّينا على آثارِهم بِعيسى ابنِ مريم مصدِّقاً لما بينَ يدَيهِ مِنَ التَّوراةِ و آتيناهُ الإِنجيلَ فيه هُدىً وَنورٌ و مصدِّقاً لما بينَ يَديهِ مِنَ التوراةِ وَهُدىً وموعظةً للمتَّقين) (المائده/ ٤٦) وأشار إلى ما جاء فيه من أنهم يعرفون النَّبي كما يعرفون أبناء هم: (الَّذين آتيناهمُ الكتابَ يَعرفونَهُ كَما يعرفون أبناءَ هم وَ إنَّ فريقاً منهم لَيكتُمونَ الحقَّ و هُم يَعلَمون) (البقرة/ ١٤٦) ، (الذين آتيناهُمُ الكِتابَ يعرفونهُ كَما يعرفون أَبناءَهُم الذينَ خَسِروا أَنفُسَهم فهُم لا يُؤمِنون) (الأنعام/ ٢٠) وأشار إلى ما جاء فيه من أن اليهود قد كانوا . من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب . يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم؛ يقولون إنه سيبعث نبِّي في آخر الزمان نقتلكممعه قتل عاد وإرم: (وَ لما جاءَهم كتابٌ مِنْ عندِ اللهِ مُصدِّقٌ لما مَعَهم وَ كانُوا مِنْ قبلُ يستفتِحونَ على الذين كَفَروا فلمَّا جاءَهم ما عرفوا كفروا به) (البقرة/٨٩).

و الشاعر يستدعي قصة قابيل وهابيل حينما بعث الله غرابين فاقتتلاحتى قتل أحدهما صاحبه ثم حفر الأرض فدفنه: (فَبعثَ اللهُ غراباً يبحَثُ في الأرضِ ليُرِيَهُ كيفَ يُواري سَوءَةَ أخيهِ قالَ يا وَيلَتا أَعَجزتُ أَنْ أَكونَ مِثلَ هذا الغرابِ فَأُواريَ سوءةَ أَخي فأصبَحَ مِن النادمين) (المائدة/ ٣١)، و هذا من خصائص الهجاء الديني عند البوصيري، فإنه كثيراً ما يستدعي القِصص القرآنية ثم يخلق من مضمون قصة بعينها هجاءً ساخراً يستطيع من خلاله أن يُفحم الخصم ويهكمه ويبهته.

ولا ينحصر الهجاء الديني عند الشاعر في قدح اليهود والنصارى فقط؛ بل إنه يهجو المشركين والمنافقين أيضا؛ ففي الهمزية يهجو زوجة أبي لهب . ويدعوها بذلك اللقب الذي دعاها القرآن به، حمّالة الحطبو هذا هجاء لاذع في نفسه . فإنها لما سمعت ما نزل في زوجها وفيها من القرآن في سورة المسد، أتت رسول الله ــصلى الله عليه وآله وسلمــو في يدها فهر من حجارة، فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول اللهــ صلى الله عليه وآله وسلمــ فلا ترى إلا أبابكر، فقالت يا أبابكر إن صاحبك قد بلغني أنه يهجوني، و الله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، والله إني لشاعرة: مذمماً عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا، ثم انصرفت. (الآلوسي، ١٩٨٥، ج٣٠: ٢٦٤) يقول البوصيري:

وَ أعدَّتْ حَمَّالَةُ الحطَبِ الفيْـ ـهَ سَرَو جاءَتْ كَأَنَّها الورقاءُ

يَومَ جاءَتْ غَضبى تَقُولُ أَفي مِثـ ـلِيَ مِنْ أَحمدٍ يُقالُ الهِجاءُ

www.SID.ir

Archive of SID

وَتَولَّتْ وَ ما رَأَتْهُ وَ مِنْ أَينَ تَرى الشَّمسَ مُقلَةٌ عَمياءُ

(البوصيري، ١٩٩٥: ١٥)

و بعد إشراق أنوار النبوة لم ير الكفار إلا ظلاً وسراباً، و ليس الكفار إلا ذوي أذواق مريضة تجد الشهد مراً، فدأبهم العنادُ والتغابي، بل إنهم قوم عُميٌ و الأعمى لا يرى ما يحس بالصبر ، فكيف يرى السّرَّ والرسول سرُّ الله في خلقه:

أَشرَقَتْ أَنوارُهُ فَرأينا الرُّزْ سَ رأساً وَ الذُّنابى ذُنابا
وَ رأى الكُفَّارُ ظِلّاً فَضلُّوا وَيحُهُمْ ظَنُّوا السَّرابَ الشَّرابا
وَ إذا لَم يَصِحَّ بِالعِلْمِ ذَوقٌ وُجِدَ الشَّهدُ مِنَ الجهلِ صَابا
كَيفَ يَهدي اللهُ مِنهُم عَنِيداً كُلَّما أَبصَرَ حَقّاً تَغابى
وَ إذا جِئتَ بِآياتِ صِدقٍ لَم تَزِدْهُم بِكَ إلاَّ ارتِيابا
أَنتَ سِرُّ اللهِ في الخَلقِ و السّـ ـرُّ عَلى العُمْيِ أَشَدُّ احتِجابا

(المصدر نفسه: ٣٤)

و في الأبيات إشارة إلى ما جاء في القرآن الكريم من أن المؤمنين يعملون بما في القرآن من الفرائض ويُحلُّون حلاله ويحرّمون حرامه ولا يزيد هذا الذي نزل على رسوله الكافرين إلا خساراً، لأنهم كلَّما نزل فيه أمرٌ من الله بشيء أونهيٌ عن شيء كفروا به فلم يأتمروا لأمره ولم ينتهوا عمّا نهاهم عنه، فزادهم ذلك خساراً إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار: (وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمةٌ لِلمُؤمنينَ وَلا يَزيدُ الظّالمينَ إلاَّ خَساراً) (الإسراء/٨٢).

والشاعر في قصيدته (ذخر المعاد) يهجو المشركين الذين طاردوا النبي الكريم (ص) و لكنهم بلغوا أسفل الدرجات من الضلال والمهانة والذلة حتى أن الله . تبارك وتعالى . أنجى نبيه منهم بنسجٍ من العنكبوت وأعماهم، فهم ينظرون ولا يبصرون:

وَ جَلَّلَ الغارَ نَسْجُ العَنكبوتِ عَلى وَهنٍ فَيا حَبَّذا نسجٌ و تجليل
عِنايَةٌ ضَلَّ كَيدُ المشرِكينَ بِها وَ ما مَكايِدُهم إلاَّ الأَضاليل
إذْ يَنظُرونَ وَ هُم لا يُبصِرونَهما كَأَنَّ أَبصارَهُم مِن زَيغِها حُوَلُ
إنْ يَقطعِ اللهُ عَنهُ أَمَّةً سَفِهت نُفوسُها فَلها بِالكفرِ تَعليل

(البوصيري، ١٩٩٥: ١٥٥)

٢-٤. الهجاء الاجتماعي في شعره

إن البوصيري و إن كان معروفاً بمدائحه النبوية، ولكنه يُعدُّ من كبار الشعراء الذين خلالَهُم انتقادُ المجتمع بمختلف طبقاته، لا سيما طبقة الموظفين، فقد صبَّ جام غضبه عليهم ورماهم بأبشع

www.SID.ir

Archive of SID

النعوت ودعا إلى قطع دابرهم ولم يدَعْ مناسبة تمرّ إلا تناولهم وبين مساوئهم وكشف عيوبهم وهجاهم الهجاء اللاذع (يوسف، ٢٠٠٣: ٤٩٠). فهو يتناول الآفات التي كانت منتشرة بين موظفي الدولة آنذاك كالخيانة والسرقة والارتشاء والخلافات الطائفية وغيرها.

و هذا القسم من شعره يتصف بطابع الرقة وخفة الروح والميل إلى الدعابة (ينظر: حسين، ٢٠١١: ٣٣١). فها هو في معرض مدحه عزالدين أيبك (ت ٦٥٥هـ)يذكّره بالموظفين ويلفت نظره إلى ما هو خفي منه وغير منظور وينصحه بتطهير الأرض منهم (يوسف، ٢٠٠٣: ٤٩٠) فالتفكر يبدي من مفاسدهم ما لا يبديه النظر بالعين. فهم في ظاهر الأمر أهل الخير والصلاح والعمارة وفي الحقيقة يفسدون ويخرّبون، فالخباثة فيهم مغلّظة حتى لو غسلتهم بالبحر ما طهروا. يقول:

إذا تفكَّرتَ في المستخدمينَ بدا ... منهُم لعينيكَ ما لَم يُبدِهِ النَّظَرُ
ظُنُّوهُم عَمروا الدُّنيا بِبذلهِمِ ... وَ إنَّما خَرَّبوا الدُّنيا وَ ما عَمَروا
فَطهِّرِ الأَرضَ مِنهُم إنَّهِم خَبَثٌ ... لَو يَغسِلونَهُم بِالبَحرِ ما طَهروا
نيرانُ شَرٍّ كفانا اللهُ شَرَّهُم ... لا يَرحَمونَ وَ لا يُبقونَ إنْ ظَفَروا

(البوصيري، ١٩٥٥: ٨٤)

ثم يلحقهم بالحمقى الذين لا دواء لدائهم؛ فإنهم معظمون عند أنفسهم محتقرون عند الناس، لا يزورون السلطان إلا حين يفتقرون، فهم عالون طاغون جاحدون للنَّعماء في السراء، أما في الضراء فينحدرون، ورفعُ الدهر إياهم ليس إلا كرفع البقرِ أذنابها لقضاء الحاجة!:

وَ لا تَثِقْ بِوِفاءٍ مِنْ أَخي حُمُقٍ ... فَالحُمْقُ داءٌ عَياءٌ بُرؤُهُ عَسِرُ
مِنْ كُلِّ مَنْ قَلَّ في نفسيهِ أَبداً ... مُعَظَّمٌ وَ هُوَ عِندَ النَّاسِ مُحتَقَرُ
يَصُدُّ عَنكَ إذا استَغنى بِجانبِهِ ... وَ لا يَزورُكَ إلاَّ حِينَ يَفتَقِرُ
كَأَنَّهُ الدَّلوُ يَعلُو حِينَ تَملؤُهُ ... ماءً وَ يُفرِغُ ما فيه فَينحَدِرُ
وَ الدَّهرُ يَرفَعُ أَطرافاً كَما رَفَعَتْ ... أَذنابَها لِقَضاءِ الحاجةِ البَقَرُ

(المصدر نفسه: ٨٤)

وفي مطولته هذه و قد كادت أن تنيف على مائة وستين بيتاً، لم يُبقِ البوصيري ولم يذر ، فقد سبق له أن أيد عزالدين أيبك وبارك فعلته في أناس ادَّعى أنهم مجموعة من رِعاع القوم عاثت في الأرض فساداً (يوسف، ٢٠٠٣: ٤٩١)، يقول البوصيري:

عَصَتْ عَليه أُناسٌ لا خَلاقَ لَهُم ... الشُّؤمُ شِيَمَتُهُم وَ اللُّؤمُ وَ الدَّبَرُ
تَلثَّموا ثُمَّ قالُوا إنَّنا عَرَبٌ ... فَقُلتُ لا عَرَبٌ أَنتُم وَ لا حَضَرُ

www.SID.ir

Archive of SID

وَ لا عُهودٌ لَكُمْ تُرعى وَ لا ذِمَمٌ وَ لا بُيوتُكُم شَعْرٌ وَ لا وَبَرُ

(البوصيري، ١٩٩٥: ٨٢)

و رغم أن الدافع الشخصي هو أهم ما يميز الهجاء عن النقد الاجتماعي وأن البوصيري في تعرضه لموظفي الدولة كان يصدر عن دافع شخصي أحياناً .كما نشير إليه في القسم الآتي . إلاَّ أن توفر ذلك الدافع الشخصي لاينفي كون شعره نقداً اجتماعياً، فمعاناة البوصيري من موظفي الدولة هي دليل على معاناة الرعية، فهو لا يتعرض لزيدٍ أوعمروٍ، بل يتعرض لكل رجل من رجال الدولة خان الأمانة في أثناء قيامه بعمل رسمي كُلِّف به وبالتالي فقد ذابت المصلحة الشخصية في المصلحة العامة (أبوعلي، iugaza. edu.ps/nail/filas/2010). فلا يجد البوصيري بينهم رجلاً أميناً وهو يدعي أن عنده اليقين فهو عاشرهم وجربهم فوجدهم كلَّهم لصوصاً يعدل سارقٌ منهم مائة سارق! يقول:

ثَكِلتُ طَوائِفَ المُستَخدَمينا فَلَمْ أَرَ فيهِمُ رَجُلاً أَمينا

فَجُدْ أَخبارُهُمْ مِنّي شِفاهاً وَ أَنظُرني لأُخبِرَكَ اليَقينا

فَقَد عاشَرتُهُم وَ لَبِثتُ فيهِم مَعَ التَّجريبِ مِنْ عُمُرٍ سِنينا

حَوَتْ بُلبيسُ طائِفَةً لُصُوصاً عَدَلْتَ بِواحِدٍ مِنهُم مِئينا

(البوصيري، ١٩٩٥: ١٨٩)

فلا يُبقي رجلاً واحداً منهم إلاَّ و هو يعلن الحرب عليه ويتهمه بالخيانة والسرقة، فهو عاشرهم وجربهم واطلع على ألوان خيانتهم. هذا من جانب، ومن جانب آخر فشاعرنا يحس بمآسي شعبه ومصائبهم، فهو ينقد بنَفَسٍ طويل وعاطفة صادقة ما رأى من هذه الطائفة المجرمة. فهم قوم يفعلون كل ما نهى الشرع عنه، يلبسون الحرير ويشربون الخمور ويباشرون الغلمان المرد والشاعر من طريق عرض صورة كاريكاتيرية مضحكة يشير إلى أن هذه العادات الذميمة والفعال القبيحة صارت شيمتهم الثابتة المستقرة فيهم بما أنهم يفعلونها من قديم الأزمان حتى أن الغلمان قد طعنوا في السن و هم ما يزالون يأتون القبائح من دون استحياء!:

وَ لَولا ذاكَ ما لَبِسُوا حَريراً وَ لا شَرِبوا خُمورَ الأُنَدرينا

وَ لا رَبَّوا مِنَ المُردانِ قَوماً كَأَغصانٍ يُقَمِّنَ وَ يَنحَنينا

وَ قَدْ طَلَعَتْ لِيَعضِهِمُ ذُقونٌ وَ لكِنْ بَعدَ ما نَتَفُوا ذُقونا!

(المصدر نفسه: ٨٩)

و الدافع الشخصي والهجاء الاجتماعي عند الشاعر يظهر أيَّما ظهور حينما يحرض أحد أمراء المماليك عليهم في رائيته وينهاه عن أن يُدني أحداً منهم، فجمال ظاهرهم ستر فساد باطنهم. فيطلب من الممدوح أن ينتقم منهم فكلّهم أهل الخيانة والغدر، فهم الذين منعوه حظه وظلموه. يقول:

www.SID.ir

Archive of SID

فَلا تُدنِ مِنهُم واحداً مِنك ساعةً وَ لَو فاحَ مِن بُردَيهِ مِسكٌ وَ عَنبَر
وَ بَرِّدْ فُؤادي بِانتقامِكَ مِنهُمو فَقَدْ كادَ قَلبي مِنهُمو يَتَفَطَّر
مُنِعتُ بِهِم حَظّي شُهوراً وَ لَم أَصِلْ لِي حَظِّهِم حَتّى مَضَتْ لِيَ أَشهُر
أَما فيهِم لا بارَكَ اللهُ فيهِم أَمُحو قَلَمِلاً يَخونُ وَ يَغدِر

(المصدر نفسه: ١٠٤)

والبوصيري في نقده للموظفين لا يستثني أي طائفة منهم، فهو في سبيل المصلحة العامة لا يميز بين فقيهٍ استغلَّ منصبه ونصراني أو يهودي، بل قد يكون الفقيه أكثر خطراً كما يرى البوصيري لأنهأقدر من غيره على جعل العدل ظلماً و الباطل حقاً (أبو علي، iugaza.edu.ps/nail/filas/2010)، فالقاضي يخون في الأمانات ويستغلُّ كل فرصة لأن يمكر بالناس و هم يظنون أنه أمين في أموالهم وأعراضهم والفقيه لا يخاف الله ورسوله ويحرّف الكَلِم عن مواضعه فيحرم الحلال ويحلُّ الحرام، يظلم الناس ويقول عدلتُ ويجعل الباطلَ حقاً والحقَ باطلاً وكلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون، فالمسلم يتأوَّل في النصوص ولا يرى حقاً لغير المسلم والنصراني يدّعي أنه أحق بالتصرف من غيره في البلاد واليهودي يفضل اليهود على من في الأرض جميعاً فهم أهل السبت وكل ما في الأرض حلٌّ لهم لا حقَّ فيه لأحدٍ سواهم!يقول البوصيري:

تَحَيَّلتِ القُضاةُ فَحانَ حُكمٌ أَمانَتَهُ وَ سَمَّوهُ الأَمينا
وَ كَم جَعلَ الفَقيهُ العَدلَ ظُلماً وَصَيَّر باطِلاً حَقّاً مُبينا
وَ ما أَخشى عَلى أَموالِ مِصرٍ سِوى مِن مَعشَرٍ يَتأَوَّلونا
يَقولُ المسلمون لَنا حُقوقٌ بِها وَ لَنحنُ أَولى الآخِذينا
وَ قالَ القَيطُ إِنَّهُم بِمِصرٍ مُلوكٌ وَ مَن سِواهُم غاصِبونا
وَ حَلَّلتِ اليَهودُ بِحِفظِ سبتٍ لَهُم مالَ الطَّوائِفِ أَجمَعينا
فَلا تَقبَل مِنَ النُّوابِ عُذراً وَ لا النُّظّارِ فيما يُهمِلونا

(البوصيري، ١٩٩٥: ١٩١)

و يهجو البوصيري كُتّاب الدواوين، فهم قوم لا يوجد عندهم كرامة ولا أمانة ولا سلامة، فهم قد غيروا قوانين الشرع وصار كلُّ حكمٍ عالٍ مقدسٍ سافلاً عندهم لا يعبأ به بل يهان. و البوصيري يستلهم من الآية الشريفة: (كراماً كاتبين) (الانفطار، ١١). ويقول إنهم كاتبون ولكن ليسوا بالكرام! وكأنه يريد أن يقول: أيها القوم الفسقاء ألا تخافون من الله القاهر الذي له كرام

www.SID.ir

Archive of SID

كاتبون يكتبون كل عمل بني آدم أن يحاسبكم على سوء كتابتكم! إنهم قوم لئام لا يأمن منهم أحد على ماله، فليس الأمر كما كان عند الأجيال الماضية، فكتاب زماننا صاروا خدّام جمعِ المال وأفعالهم مبنية على الظن لا التحقيق، يرنون إلى ذرى المناصب ولا يخافون حتى الخروج من الدين، فمَثَلهم في تحرّي المناصب كمثل الذُّباب كلَّما ذُبَّ آبَ !

أُنظُر بِحَقِّكَ في أَمرِ الدَّواوينِ فَالكلُّ قَد غَيَّروا وَضعَ القوانينِ
لَم يَبقَ شيءٌ عَلى ما كنتَ تَعهَدُهُ إلا تَغَيَّر مِنْ عالٍ إلى دُونِ
الكاتبونَ وَ كيسُوا بِالكرامِ فَما مِنهُم على المالِ إنسانٌ بِمأمُونِ
وَ الكلُّ جَمعاً بِبذلِ المالِ قَدْ خَدموا وَ ما سَمِعنا بِهذا غَير ذا الحينِ
فَهُم على الظَّنِّ لا التَّحقيقِ بَذلُهُم وَ ما تَحَقَّقَ أَمرٍ مِثل مَظنونِ
نالُوا مَناصِبَ في الدُّنيا وَ أَخرَجَهُم حُبُّ المَناصبِ في الدُّنيا على الدّينِ
قَدْ طالَ ما طُرِدوا عَنها وَ ما انطرُدُوا إلاَّ وَ قومٌ عَليها كالذُّبابينِ

(*المصدر نفسه*: ١٨٦)

فإنَّمشاعره في هذه القصيدة تثور لمعاناة الرعية من الظلم أينما وقع، فإنه يتحدث عما وقع على أهل أسوان من الظلم ومصادرة الأموال ويصور ألوان هذا الظلم والعدوان وهذه المعاناة والمصائب و يرفعها لسلطان مصر (ينظر: *المصدر نفسه*: ١٨٩-١٨٦) ويحرضهعلى كشف البلاء عن أهل أسوان و يرى أن جهاد عامل أسوان ومستخدميه يقدم على جهاد التتار والصليبيين بل إن كشف الغمَّة عن الرعية هي الطريق الأمثل لكسب مرضاة الله . عزوجل .:

وَ حَلِّ غزوَ هُلاكو وَ الفَرنسِ مَعاً وَاهَضْ بِفُرسانِكَ العُرِ المَيامينِ
وَاغزُنَّ عامِلَ أَسوانَ تَنالُ بِهِ جَنَّاتِ عَدنٍ بِإحسانٍ وَ تَمكينِ

(*المصدر نفسه*: ١٨٨)

و مهما يكن من أمرٍ فإن هجاء البوصيري الاجتماعيَ بسيط في روحه وأسلوبه ويتسم بالخفة والظرف كما أنه يتصف بطابع ديني أيضاً ، فإنه . على أية حال . شاعر المديح النبوي، وكثيراًما يصنع من التعابير الساخرة الساذجة صوراً كاريكاتيريةً ناقدة لا يبدو عليها تكلف النظم والصنعة، فتجري الألفاظ والعبارات على كل لسان، فهذه الأهاجي الاجتماعية تصور جانباً من حياة مجتمع الشاعر وأحوال الموظفين في عصر المماليك ، كذلك تكشف عن مدى استغلال كتاب الأقباط واليهود لوظائفهم في الحسابات والشؤون المالية للسرقة والاختلاس (حسين، ٢٠١١: ٢٣٢).

www.SID.ir

Archive of SID

٣-٤. الهجاء الفردي في شعره

و نعني بالهجاء الفرديما تعرض فيه الشاعر لشخص بعينه وهذا النوع من الهجاء وإن كان أقلَّ من سائر الأنواع في شعر البوصيري إلا أنَّنا نواجه أعلاماً وأسماء مختلفة تعرض لهم البوصيري بالقدح والهجو؛ حتى نرى أنه يصرح بأسماء متعددة في هجو المستخدمين يقول:

حَوتْ بلبيسُ طائفةً لُصوصاً عَدلتُ بِواحدةٍ مِنهُم مِئينا
فُرَيجي وَ الصَّفيَ وَ صاحِبَيهِ أَبا يَقطينَ وَ النَّشوعَ السَّمينا
(البوصيري، ١٩٩٥: ١٨٩)

فالفريجي والصَّفي وأبو يقطين والنشوع أسماء أعلام.

ومن الهجاء الشخصي عند البوصيري، ما تعرض فيه الشاعر للفقيه بهاءالدين بن المسردي؛ فقد نظم الشاعر على لسان مسجد الشيخ عبدالظاهر بالقاهرة حينما بلغه أن السلطان الأيوبي الملك الصالح نجم الدين أيوب منح طلبة العلم في هذا المسجد أربعة آلاف دينار، لكن المسؤول عن توزيع هذا المبلغ و هو الفقيه بهاءالدين بن المسردي قد فوَّض والده الشهابَ ، فلم ينل الشاعرُ منه نصيبه. (ينظر: باشا، ١٩٩٩: ١٧٠-١٦٩) يقول البوصيري:

لَيتَ شِعري ما مُقتَضى حِرماني دُونَ غَيري وَ الأَلفُ لِلرَّحمنِ
أَتراني لا أَستَحقُّ لِكَوني جامِعاً شَملَ قارِئي القُرآنِ

...

أَنا لا أَنسِبُ البَهاءَ على ذَا لِكَ إِلاَّ لِقِلَّةِ الإِيمانِ
هُوَ وَلَّى أَهلَ الخِيانةِ فيها وَ تَولّي الجَوادِ كالحَوَّانِ
كُلَّما جاءتْ الدَّنانيرَ نَهْ قَضَّ عَليها البَهاءُ كالشَّيطانِ
مَدَّ فيها يَدَ الخِيانةِ فَامتَ لَّ إِليهِ بِاللَّثمِ كُلُّ لِسانِ
(البوصيري، ١٩٩٥: ١٨٤و١٨٥)

فالبوصيريفي هذا الهجاء لا يتعرض إلا للمثالب الإنسانيةالأخلاقية والدينية، فيرمي مهجوَّه بقلة الإيمان والخيانة ويشبهه بالشيطان وفي نهاية المطاف يشوب الهجاءبقليل من الفكاهة والسخرية؛ فماذا يفعل المساكين_لا سمح الله_ إن وُلِّي البهاءُ الفقيه أمرَ الطعام في شهر رمضان!!

آه واضيعةَ المساكينِ إِنْ وُلّيَ أَمرَ الطَّعامِ في رَمضانِ
(*المصدر نفسه*: ١٨٥)

www.SID.ir

Archive of SID

و عرض على البوصيري أن يكون محتسب القاهرة، فاعتذر عن قبول الوظيفة وشرح لنا أسباب امتناعه في قصيدة طويلة مطلعها:

لا تَظلمُوني وَ تَظلموا الحسَبه فَليسَ بَيني وَ بينها نسَبَه
غَيرَي في البيعِ و الشِّرا دَربٌ وَ لَيسَ في الحالتينِ لِي دربَه
(المصدر نفسه: ٥١)

و قد عُلِّل سبب ذلك و ذُكِر أن شخصاً يسمى (الفخر الفيشي) كان ينافسه في الحصول على هذه الوظيفة، فرأى البوصيري أن يتقي شر هذا المنافس وأن يبتعد عن الحسبة ومتاعبها وقنع بما يكسبه من كتابه الألواح ونظم الشعر (باشا، ١٩٩٩: ١٧١-١٧٠)؛ فعلى سبيل التعريض يتحدث عن أفعال هذا المحتسب الشنيعة، فالشاعر لا يريدأن يكون محتسباًفيوجع الناس ويسبَّهم وأن يأمر الناس بالصلاح وهو لا يصلح نفسه، ثم كأنما ينقلنا الشاعر إلى معرض صور مضحكة كاريكاتيرية من هذا المحتسب الذي أرخى العنان لنفسه فتفعل ما تشاء من دون ما استحياء. فالبوصيري يصوّر المحتسب يتردد في الأسواق بهذه الهيئة الساخرة التي لو أردنا أن نسهب فيه لطال المقال؛ يقول البوصيري:

تَاللهِلا يرضى فَضلي وَ لا أَدَبي وَ لا طِباعي في هذهِ السُّنَّبه
أَجلِسُ وَ النَّاسُ يُهرعونَ إلى فِعلَيَ في السُّوقِ مُعْصِبةً مُعصَبه
أُوجِعُ زياداً ضرباً و أُشبِعُهُ سَبّاً كَأَنّي مُمَرِّقِصُ اللُّبَّه
(البوصيري، ١٩٩٥: ٥٣-٥١)

و في بعض الأحيان يصدر هذا الهجاء الشخصي الساخر من خلفية دينية، كما نرى في هجوه بعض كتَّاب النصارى في بلبيس حينما أراد أن يكشف أخطاءه الحسابية، فيشبّه البوصيريُ قلم هذا الكاتب بالظفر والناب والمخلب، فلابد أن يكون صاحبه حيواناً مفترساً يريد أن يفترس الشاعر و هو في نفس الوقت يتلون في أثوابه ويغالط البوصيري ويريد أن يغير الواقع فيلغي الموجب و يوجب الملغى! و في الواقع إنه لا يعرف الحساب و ههنا يستغل البوصيري تلك الخلفية الدينية ليكون الوقع أشدَّ والهجو ألذع، نعم لا عجب من الكاتب النصراني أن يكون جاهلاً بالحساب، فالذي يزعم أن الله ثالث ثلاثة! ويثبت الأقانيم الثلاثة! جدير بأن لا يعرف الحساب، يقول:

فَلا بورِكَ المستخدمون عِصابَةً فَكَم ظالمٍ مِنهُم عَلَيَّ تَعَصَّبا
إذا ما برى أَقلامه خِلتَ أَنَّه يَسُنُّ لَه ظِفراً وَ نابًا و مِخلَبا
يُغالِطُني بعضُ النَّصارى جَهالَةً إذا أَوجَبَ الملغى وَ أَلغى المُوجَّبا

www.SID.ir

Archive of SID

وَ ما كانَ مَنْ عدَّ الثَّلاثَةَ واحداً بأَعلمَ منّي بالحسابِ وَ أَكتبا

(*المصدر نفسه*: ٤٩)

فهل يمكن لمن يقول إن الله ثالث ثلاثة أن يكون أعلم من صاحبنا بالحساب!!

و بجنب ذلك يقدح عدول المسلمين!! في القصيدة التي نظمها في مباشري الشرقية (ينظر: الصفدي، ٢٠٠٠، ج٣: ٨٩؛ الكتبي، ١٩٧٤، ج٣: ٣٦٢)، و إذا كان حال عدول المسلمين_على ما قاله البوصيري_هذا، فلا ملامَ على فساق النصارى:

وَ كيفَ يُلامُ مُشاقُ النَّصارى إذا خانَتْ مُعدولُ المسلمينا

وَ مُجلُّ النَّاسِ خَوَّانٌ وَ لكن أُناسٌ مِنهُمُ لا يَستُرونا

(البوصيري، ١٩٩٥: ١٨٩)

وقد يغلب روح الدعابة وخفةالروح في كثير من أهاجيه الشخصية، فعلى سبيل المثال يعرض البوصيري بابن عمران ناظر الشرقية في زمانه و قد سبق له أن فصله من وظيفته، فالناس يرونه شر متاعٍ في السر والعلانية فلا خير لهم في ظاهره ولا في باطنه. ثم يخاطب الشاعر ممدوحه ويقول: إن قربي منكم حسَّن قربَ ذكرى ابن عمران لأن مثلكم بالنسبة إليه كمثل المسك بالنسبة إلى فارته، فهو وعاء فارغ لا خير فيه ولا حسن! على أنه لا يباريني في مضمار الأدب، فمدحه بالنسبة إلى مدحي قطرة من سحابٍ وهجوه شرارة مقتبسة من زنادي!ثم يقول على سبيل السخرية أن لا فضل لابن عمران عليه إلا أن له بغلة والشاعر لا يملك إلا حمارة! يقول مفضلاً نفسه عليه:

وَ ابنُ عِمرانَ وَ هْوَ شَرُّ مَتاعٍ لِلوَرى في بِطانةٍ وَ ظِهارَه

حَسَّنَ القربُ مِنكُم قُبحَ ذِكرا هُ كَتحسينِ المِسكِ ذِكرفارَه

فَهْوَ في المدحِ قَطرَةٌ مِنْ سَحابي وَ هْوَ في الهَجوِ مِن زِنادي شَرارَه

مالَهُ ميزَةٌ عليَّ سِوى أنَّ لَهُ بغلَةً وَ مالي حِمارَه

(*المصدر نفسه*: ٧٧)

و من هذا النوع قوله في الشيخ زين الدين الرعَّاد و قدعاب شعره و الشاعر يشبهه بالضفدع!!

لَقَدْ عابَ شِعري في البرِيَّةِ شاعِرٌ وَ مَن عابَ أَشعاري فلابدَّ أَنْ يُهجا

وَ شِعريَ بَحرٌ لا يُوافيهِ ضِفدَعٌ وَ لا يَقطَعُ الرَّعَّادُ يوماً لَهُ لُجّا

(*المصدر نفسه*: ٥٤)

www.SID.ir

Archive of SID

و من ذلك قصة طريفة جرت له مع جمال الدين ناظر الشرقية و خلاصتها أن البوصيري كان يمتلك حمارة أعجب بها الناظر، فاستعارها منه، ثم أخذها وجهز له مئتي درهم، فكتب على لسانها إلى ناظر الشرقية قصيدة قدم لها بقوله في طُرتها: «المملوكة حمارة البوصيري»!! (باشا، ١٩٩٩: ١٧١). ويحس في ثنايا هذه القصة هجاء لاذع استتر تحت الفكاهة و السخرية (ينظر: البوصيري، ١٩٩٥: ١٦٥) و منه ما قاله حينما سرقت حمارته (*المصدر نفسه*: ١٩٥). و منه ما قاله فيما جرى بين رجل اسمه مسافر و صبي اسمه النجم (*المصدر نفسه*: ١٧٤).

٥. النتيجة

يمكن أن نلخص نتائج هذا البحث فيما يلي:

١. إن الهجاء الديني و العقائدي عند البوصيري يعد من أهم الأغراض الشعرية و قد سار الشاعر في هذا النوع على سبيل أمثال حسان بن ثابت الأنصاري، فأتى بما قام في الدين الجديد، الإسلام، من تنديدبالشرك ومخالفة الله وعبادة الأوثان والتهديد والوعيد، فاستفاد كثيراً من آيات القرآن الكريم. وفي هجوه أهل الكتاب نلاحظ أنه مطَّلع على كتب اليهود والنصارى فيردُّ عليهم بطريقة جدلية بقصد إقناعهم ببطلان ما ذهبوا إليه، فهو في هذا الهجاء يتبع طريقتين؛ الأولى الإتيان بالدلائل العقلية والثانية الاعتماد على التاريخ.

٢. الهجاء الاجتماعي عند البوصيري و إن كان نشأ في كثير من الأحيان _عن دوافع شخصية، و لكنه يدخل تحت باب النقد الاجتماعي و ذلك لأنه ضِمن هذا النوع من الهجاء يتناول الآفات التي كانت منتشرةفي مجتمعه، فهذا النوع يهدف إلى تحقيق مصلحة عامة.

٣. إن البوصيري في هجائه الشخصي يتعرض لبيان المثالب الأخلاقية وهو في كثير من الأحيان ينقل المخاطب إلى معرض من الصورالساخرة الكاريكاتورية من دون أن يكثر من الفحش والسب و لعل هذا يرجع إلى تلك الشخصية المرموقة التي اكتسبها بفضل مدائحه النبوية.

٤. يتسم هذا الغرض عند البوصيري بالبساطة و السلامة وخفة الروح و الميل إلى الدعابة وخصوصاً في الهجاء الشخصي.

مصادر

القرآن الكريم

www.SID.ir

Archive of SID

الآلوسي، شهاب الدين محمود (١٩٨٥)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن قتيبه (١٩٦٨)، **الشعر والشعراء**، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط٢، القاهرة: دارالمعارف.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (٢٠٠٠)، **لسان العرب**، ط١، بيروت: دار صادر.

أبو علي، نبيل خالد نجاح، **كتاب البوصيري**، الصفحة الشخصية على موقع iugaza. edu. ps/nail/filas/2010.

باشا، عمر موسى (١٩٩٩)، **تاريخ الأدب العربي العصر المملوكي**، ط١، دمشق: دارالفكر.

البوصيري، شرف الدين ابو عبدالله محمد بن سعيد (١٩٩٥)، **ديوان البوصيري**، شرحه و قدم له: احمد حسن بسج، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

حسين، قصي (٢٠١١)، **الأدب العربي في العصرين المملوكيو العثماني**، طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب.

حسين، محمد محمد (١٩٦٩)، **الهجاءو الهجاءون في صدر الإسلام**، بيروت: دارالنهضة العربية.

الحوفي، احمد محمد (٢٠٠١)، **الفكاهة في الأدب أصولها و أنواعها**، القاهرة: نهضة مصر.

الدهان، سامي (١٩٥٨)، **الهجاء**، مصر: دارالمعارف.

الرازي، محمدبن ابى بكر بن عبدالقادر (١٩٩٥)، **مختار الصحاح**، بيروت: مكتبة ناشرون.

الزمخشري، جار الله ابو القاسم محمود بن عمر (٢٠٠٠)، **أساس البلاغة** ، بيروت: دار الفكر.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (٢٠٠٠)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق و اعتناء أحمد الأرناؤوط؛ تركي مصطفى، ط٢، بيروت: دارإحياء التراث العربي.

ضيف، شوقي (١٩٦٠)، **الفن و مذاهبه في الشعر العربي**، ط١، القاهرة: دارالمعارف.

العاني، سامي مكي (١٩٩٦)، **الإسلام و الشعر**، الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.

الفيروز آبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب (٢٠١٠)، **القاموس المحيط**، بيروت: دار الكتاب العربي.

قدامة، أبو الفرج ابن جعفر (لاتا)، **نقد الشعر**، تحقيق و تعليق الدكتورمحمد عبدالمنعم خفاجي، بيروت: دارالكتب العلمية.

القرطاجني، ابوالحسن حازم (١٩٨٦)، **منهاج البلغاء و سراج الأدباء**، تقديم و تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٣، تونس: دار الغرب الاسلامي.

قزيحة، رياض (١٩٩٨)، **الفكاهة في الأدب الأندلسي**، ط١، بيروت: المكتبةالعصرية.

القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (١٩٨١)، **العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده**، حققه و فصله و علق حواشيه محمد محي الدين عبدالحميد، ط٥، بيروت: دارالجيل.

كاسب، عزيز الله (١٣٦٦ش)، **چشم انداز تاريخى هجو**، تهران: تابش.

www.SID.ir

Archive of SID

الكتبي، محمد بن شاكر (١٩٧٤)، **فوات الوفيات و الذيل عليها**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت: دار صادر.

يوسف، خالد ابراهيم (٢٠٠٣)، **الشعر العربي أيام المماليك و من عاصرهم من ذوي السلطان**، ط١، بيروت: دارالنهضة.

www.SID.ir

Archive of SID

هجا و انگیزه‌های روانی آن در شعر بوصیری

هادی رضوان*

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه کردستان

چکیده

هجا را در شعر بوصیری می‌توان بر اساس انگیزه‌های روانی مختلف به سه دستهٔ هجای دینی، اجتماعی و فردی تقسیم کرد. او در هجو دینی، معاندان اسلام و به‌ویژه یهود و نصارای زمان خود را مورد خطاب قرار می‌دهد و با استدلال‌های عقلی و اشارات تاریخی به رد عقاید آنها می‌پردازد. شعر او در این نوع از هجا صریح، محکم، و استوار است.

هجای اجتماعی و فردی بوصیری اگرچه ریشه در اغراض شخصی دارد، اما بیشتر هدفی اصلاحی را دنبال می‌کند. شعر او در این دو نوع از هجا، بی‌تکلف، روان و بیشتر آمیخته با طنز است. او در هجای اجتماعی خود به‌وضوح فساد و ناهنجاری‌های موجود در میان طبقات حاکم زمان خویش را به تصویر می‌کشد و در هجای فردی بیشتر از عیوب اخلاقی سخن می‌گوید. تربیت دینی، زندگی شخصی و مشکلات اجتماعی شاعر بر سبک شعری او در این غرض شعری تأثیر مستقیم داشته‌اند. نویسنده در این مقاله با روش توصیفی ـ تحلیلی انواع مختلف هجا در شعر بوصیری را مورد توجه قرار داده و نمونه‌های شعری مناسب را تجزیه‌وتحلیل کرده‌است.

کلیدواژه‌ها: هجا؛ انگیزه‌های روانی؛ هجو دینی؛ هجو اجتماعی؛ بوصیری.

* نویسندهٔ مسئول hadirezwan@yahoo.com

www.SID.ir

Archive of SID

www.SID.ir